



خطاب جلالة الملك

أمام أعضاء المجلس الوطني السنغالي

سعادة الرئيس :

حضرات السادة أعضاء المجلس المحترمين

أصحاب السعادة :

سيداتي، سادتي :

إن العبارات التي فاه بها نخونا ونحو العائلة المالكة سعادة رئيس المجلس الوطني، صديقنا السيد الأمين كاي، كان لها أثر عميق في نفسي، كما جعلت من الواجب علي أن أذكر الشعب المغربي أن بعض الوراثة تكون ثقيلة الحمل، وأن أعلن لهم من أعلي هذه المنصة الأفريقية — أي المغربية — عن مدى الحب الذي يكنه لهم الشعب السنغالي، وأن عليهم أن يكونوا بسطاء ولطفاء ورزقاء، وأنؤكد لهم ان كانوا في حاجة لذلك أن عهد الفتوحات قد انقضى، وأن عهد نشر العرفان قد يكون عهداً ملائماً للبلدان الأفريقية التي تصبو قبل كل شيء الى الاتحاد، أقول لهم كما أقول لكافة شعوب افريقيا : ان فلاح قارتنا يكمن في الاتحاد، في اتحاد القلوب، وفي احترام الأنظمة القائمة، أقول لهم : ان التدخل في الشؤون الداخلية للدول يكون أكبر خطر على اتحادنا، كما أقول لهم أيضا انه عندما يختار شعب ما النظام اللائق به يصبح من أول الواجبات على باقي أفراد الأسرة الأفريقية أن يحترموا إرادة ذلك الشعب، لأن إرادة الشعوب هي إرادة الله.

ان هذا المجمع رهيب أيها السادة النواب، لأنني أشعر أن كلا منا يدرك كل الادراك المسؤوليات الملقاة على عاتقنا، سواء أكننا سلطة تشريعية، أو تنفيذية، أو سلطة مطلقة، وأنا ملم — أيها السادة النواب — كل الامام — بالمهمة المنوطة بكم، وبشغلكم الشاغل، وبما يخامر ضمائركم أمام المشاكل التي تواجهونها في كل يوم، أشعر أن الثقة التي وضعها فيكم الشعب وجعلكم الاستفتاء القومي أهلا لها توجب عليكم أن تكون وصيتكم المقدسة هي تحقيق رغائب منتخبيكم، وبصفتكم رجال دولة مدركين لما عليكم من واجبات، وأبناء وطن على علم من امكانيات وطنهم ومطامحه تجدون أنفسكم في بعض الأحيان أمام متناقضات تظنونها متشعبة ولا حلول لها.

ان هذا العراك المتواصل ما هو الا تلك الالتواءات التي نخرج منها نحن وإياكم بعد تأمل طويل، مرتاحي الضمير، وعلى يقين من أننا أولينا عملنا كل ما يستحقه من اهتمام، لأن من يقود الرجال لا يقوم بوصية مقدسة، لأن الوصية المقدسة — قبل كل شيء — ما هي الا صادرة عن أعماق نفس المرء، فهي ليست وظيفة، لأن الوظيفة ربما تكون شرفية انها حرفة، انها عمل يومي، انها صناعة متواصلة لا تكيف بها المادة بواسطة آلات ميكانيكية، بل تعجن بين الأصابع، وتحس عروقنا بتكييفها، ونريد لها ان تكون أجمل ما أنتجنا من صنعنا.

إن المغرب يمارس أول تجربته الديمقراطية، ومجلسنا يوجدان الآن في دورتهما العادية، فلقد درسا ميزاتهما، وأتمنى شخصا ان تحدهما في دراسة القضايا المعروضة عليهما نفس الارادة وحسن الضمير ليصلا الى إدراك الحقائق ومعرفة الحلول، ولكن اذا أردنا نهج سبيل الديمقراطية وجب علينا أن نتبصر في المشاكل قبل



الشروع في التفكير في حلولها.

ان العمل في جميع مفترقات طرق حياتنا هو في المديرية، وفي الوزارات على جميع المستويات، ان النشاط اليومي للموظفين والادارات، ان الأمانة والضمير المهني والنزاهة أمام الواجب، انه هذا كله يكون الشرط الأساسي للنجاح، وبه يمكننا الوصول إلى القمة التي نشدها.

نعم قد يكثر التحدث عن الديمقراطية، اذ في هذا المجال يتساوى عدد الديمقراطيات والديمقراطيين، ولكن هناك نقط قليلة اتفق على صحتها المفكرون ايا كان زمنهم، غير ان هذه النقط نفسها تتغير لا محالة، ولا يقر لها قرار، وديمقراطية القرن العشرين ليست ديمقراطية «أفلاطون» بل ولا حتى ديمقراطية «إيفلانستير» أو تلك التي عرفتها أوروبا عام 1789.

إن ديمقراطية القرن العشرين هي الكفاح اليومي الذي يقوم به المرء في سبيل الحياة، يقوم به لكي يحيا ويبقى حيا بعد مماته، ان الديمقراطية في عهدنا هذا لمدلول جديد للحرية، اذ الحرية أصبحت ترمز الى التحرر من الجوع، من الجهل، من الفقر، فليست الحرية اليوم هي تلك البطاقة التي تحول لكم الذهاب الى صناديق الاقتراع وتصوتوا، لأنها في الحقيقة لاتجديكم شيئا، ان هذه البطاقة وان كانت تجعلكم أحراراً امام صندوق الاقتراع وضميركم، ترجع بكم الى الاسترقاق في الشارع إذا لم تكن لكم وقاية ضد البؤس والجهل والجوع والفقر.

فالديمقراطية إذن بالنسبة لنا نحن البلدان المتخلفة اقتصاديا هي شعور سام بما علينا من واجب النهوض بشعبونا في نطاق الحرية الفردية والجماعية، تلك الحرية التي لا يمكن أن يوجد لها تعبير شفوي أو كتابي الا اذا ارتكزت على حرية المرء أمام العناصر البيولوجية التي يواجهها كل يوم.

وهذا يسير بنا الى وضع مشكلة أخرى، فالعقول غير كافية إذا لم تصاحبها السواعد للتخلص من هذا التخلف وللتنفيع في هذه الحرية الاقتصادية والاجتماعية، وللوصول الى هذا النهوض بالمرء فيجب اذن على ديمقراطيتنا ان تنظر كذلك الى الاستثمار البشري والتكوين، فمادما لا تتوفر على أطرنا وفنيينا لا يمكننا أن نتحرر من ربقة الغير، وما دمنا لا تتوفر على خيرات وطنية تمتد الى المجموعات وإلى القارات فلا مناص لنا من الالتجاء للدول العظمى، وسنبقى دوما متعرضين للأطماع وكذا — وبالأأسف — للمؤامرات الدولية، وهذا ما حدا بي في سنة 1960 يوم كنت متشرفا بالنيابة عن أبي المرحوم في رئاسة الحكومة، ويوم كنت على رأس الوفد المغربي للأمم المتحدة لأن أقول : هذا ما حدا بي الى أن أبين على البلدان النامية الأخطار التي تهدد بها، وأن أقترح عليها حولا تحول دونها ومجابهة كتلة أو أمة معينة، هذا ما حدا بي الى أن أقترح عليها أن تطلب المساعدة من الهيئات الدولية، لأن مثل هذه الهيئات لم يكن في وسعها ولن يكون أبدا في وسعها أن تفرض علينا ارادتها بصفة انفرادية، فتعاقدنا معها لا يمكن أن يطرأ منه أي مساس بسيادتنا لا في الشكل ولا في الكيف.

حضرات السادة أعضاء المجلس المحترمين

اني لفخور ومتشرف أن أكون بهذه المناسبة ضيفكم، وموضع تقديركم، وللاستقبال الحار الذي خصصتموه لي في هذا اليوم، كما أنني سعيد أن أكون رسول الصداقة والأخوة من لدن شعب عرفتموه وعرف شعب السنغال خطوة خطوة طوال قرون من التاريخ. فرغم أن الأحداث لم تخل من الهيجان في بعض الأحيان، ورغم أننا اصطدمنا وتشاجرنا خلال هذه القرون فان هناك شيئا غير زائل، ألا وهو كوننا عرفنا كيف نتحاب،



لأن بعضنا قدر البعض، فعلينا أن نزيد في هذا التقدير، وذلك أكبر ضمان لاستمرار تواددنا، وهذا التقدير — كما قلت — رهين بالاحترام المتبادل بين الأمم في سيادتها واستقلالها، أقول — لا يمكن لهذا التقدير أن يكتسي صبغة الجد إلا إذا قمنا بما علينا أن نقوم به «لوجه الله» كما يقول المسلمون في سبيل الله والأخوة الإنسانية، لا تخامرنا من وراء اتحادنا أية رغبة في السيطرة أو التدخل، بل السعي في إنشاء سلسلة للتضامن الإفريقي حتى تصبح قارتنا التي هي من أعظم القارات وأغناها ومن أقلها سكانا — حصناً للتفاهم والوحدة والتعاون.

فعلينا أن لانسى شيئاً واحداً : أنه ليس أمامنا سوى وقت قصير لبناء إفريقيا، ووقت أقصر منه لتحطيمها، لنعجل اذن بيناتها اذا كنا غير راغبين في سخط الأجيال المقبلة والأحداث.

لا أريد أن أختم خطابي هذا دون أن أعبر لحضرة الرئيس الأمين كاي عن التقدير الودي الذي نكنه له، وعن الاحترام الذي يخامر شأنا إفريقياً نحو مجاهد ومفكر مسن، نحو مجاهد ضحاً بما ضحاً من جهده وشبابه، ولم يخل بآونة واحدة من حياته ولا يقسط من قوته في سبيل شعبه أولاً ثم في سبيل الشعوب المجاورة، اني أؤكد للسيد الرئيس الأمين كاي أننا نحن معشر الأفارقة لن نتردد في منحه بالاجماع لقب المواطن الإفريقي الأول، لو فرضنا أنه طرحت قضية استحقاق تلك المواطنة الإفريقية على البساط.

وعلى كل حال ليعلم حضرة السيد الرئيس الأمين كاي أنه عند زيارته للمغرب سيستقبل لا كرئيس للمجلس الوطني السنغالي، ولا كمواطن سنغالي، بل كمغربي يزور وطنه، إذ أن رجل الخير ورجل الدين يجد نفسه في وطنه أينما حل على وجه البسيطة.

سعادة الرئيس :

اسمحوا لي أن أعبر لكم عن الاحترام والتقدير اللذين نكنهما لكم واللذين سوف يعبر لكم عنهما خيرة رجالنا ونوابنا وسكان المدن التي ستفضلون بزيارتها، وأتمنى أن تزوروا أكثر ما يمكن منها.

ان هناك رجلاً كان يسعد ويتهيج لو تأق له أن يحضر هنا، وأنتم تعلمون كل العلم — أيها السادة — من هو ذلك الرجل، انه والدي المقدس محمد الخامس، لقد كان يحلم دوماً بشيء واحد، الا وهو تركيز الديمقراطية في بلده، وانشاء علاقات صداقة متينة مع كافة الأمم الإفريقية، ولكن نحن على يقين — إذ كلنا مؤمنين. كيف ما كان ديننا — من أن روحاً مثل روحه حاضرة وقته بيننا، تلهمنا وتمد علينا أجنحتها الحارسة لنا.

أيها السادة النواب :

اني أتمنى أن يتوج المستقبل القريب والبعيد مجهوداتكم، وأن يسوى على مر السنين كل ما تفكرون فيه، وما يشغل بالكم، وكذا الاختلافات الداخلية والصعوبات الناتجة عن الخلاف بين ما هو ممكن وما ترجون أن يكون، وذلك سيصبح دليلاً لنا على أن مشاكلكم تتناقص وأن متاعبكم ليست بمنفعة الحلول، وأن طاقاتكم لا تزيد الا تفرعاً.

تحية الأمة السنغالية

بجى فخامة رئيس الجمهورية السيد ليوبولد سنغور

ارتجل بذكرار الخميس 11 ذي القعدة 1384 — 26 مارس 1964